سواداً مما تُرَى بالنظر المجرَّد او بالآلات البصرية وهـذا من الخصائص المعروفة في النبات

اما الجبال فلا تظهر قممها وحيودها الا بيضآء بيد ان منها ما يظهر انوَر من غيرهِ حتى ان بعضها يُرَى بلون الثلج . وقد وُجد من السهول ما يختلف لونهُ بين وقتٍ وآخر فبينا يُرَى عنـد اول شروق الشمس عليـهِ بلون الثلج اذ يرى بعد ايام حين توشك الشمس ان تغيب عنهُ بلون الصخر الطبيعي . وهذا ولا ريب من الاسرار التي يصعب كشفها غير ان آخر ما ذهب اليهِ المحققون منهم ان هناك ثلجاً حقيقياً ينعقـد في مدة ليل القمر الطويل الذي هو نحو نصف شهر فاذا اشرقت الشمس عليـهِ ظهر بلونهِ الناصع ثم بعد ان تستمرّ فوقهُ مثل ذلك الزمن وهو مدة نهار القمر انحلّ وانكشف الصخر من تحتهِ . وهذا الثلج انما ينعقد من الهوآء الجوّي المحيط بالقمر اذ قد ثبت لهم وجود جوّ هناك في غاية النزارة فاذا انحلّ ذلك الهوآء من جمودهِ لم يجرِ سيولاً ولا انهاراً ولكن ينتشر في الجوّ على عهدهِ ولذلك كان الهوآء على القمر يظهر احياناً ويخفى تبعاً للساعة من اليوم. والله اعلم

ديوان ابن مامية الرومي

﴿ بقلم حضرة الاستاذ الفاضل رزق الله افندي عبود ﴾

(٢)

كتب الاب لويس شيخو في مجلة المشرق (٧ : ٢٩١) ما يأتي

« (ابن مامية الرومي) كتب احد المحصيين فصلاً في بعض المجلاّت

المصرية عن هذا الشاعر وعن ديوانهِ فروى عنا كلاماً لا صحة لهُ وزعم اننا قلنا لهُ عن ابن مامية « انهُ اسم لغير مسمى وان ديوانهُ ليس لهُ ذكر في احد فهارس المكاتب الاوربية » ولبيان فساد قولهِ دونك ما نعلمهُ عن هذا الشاعر . هو محمد بن احمد بن عبدالله الرومي المعروف بمامية . وروى الحج خليفة اسمهُ « ماماي » وروى غيرهُ « ماميّه » ولد في الاستانة وقدم صغيراً الى دمشق وتجنّد في فرقة الينكشرية وحجّ معها سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٣ م) ثم جعل من العدول في محكمة الصالحيّة وانقطع للآداب واشتهر بالشعر وجمع ديوانهُ سنة ٩٧١ هـ (١٥٦٣ م) ودعاهُ روضة المشتاق وبهجة العشاق ومن هذا الديوان نسختان الواحدة في المتحف البريطاني كتبت على عهد المؤلف سنة ٩٨٥ في شعبان (١٥٧٧ م) والاخرى في اكسفرد ولهُ قصائد حسنة في السلاطين العظام سليمان وسليم الثاني ومراد الثاني وكبار دولتهم وقد اشتهر بالتواريخ الشعرية والمعمّيات توفي سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) وفي كتب الادب من شعرهِ مقاطيع متفرقة منها قطعتان في حديقة الافراح لليمني (ص ١١٠ من طبعة مصر) اهـ »

(قلت) انني اشكر حضرة الاب الفاضل على ما اتعب نفسهُ في استقصآئهِ واطرفنا بهِ من الفوائد عن هذا الشاعر وعن ديوانهِ مما ابطل بهِ قولهُ الاول انهُ لا يعرف شيئاً عن ابن مامية ولكنني انما آخذ عليهِ انكارهُ الكلام الذي قالهُ لي ورويتهُ عنهُ كما سمعتهُ منهُ . ولعل النسيان هو الذي دعاهُ الى هذا الانكار ولذلك فها انا اذكر لهُ كل المواضيع التي كلمتهُ فيها في باب ديرهم لما كان خارجاً منهُ هو وحضرة الخوري التقي

اوژن دلأل السرياني الكاثوليكي والشاب توفيق افندي كرامة احد تلاميذهم وذلك بعد رجوعهِ من حماة ضحى يوم الخميس في ٢٥ ايلول[1] غربي سنة ١٩٠٢ علَّهُ يتذكر ويعلم اني لم أروِ عنهُ غير الصحيح ولم أُثبت الا الكلام الذي نطق بهِ فمهُ وقد تنفع الذكرى

سألتهُ اولاً عن صحة ترجمة بعض قطع منقولة عن آبآء الكنيسة القدمآء ومثبتة في فصل الاستحالة الجوهرية من كتاب ريحانة النفوس في اصل الاعتقادات والطقوس تأليف وطبع البروتستان (ص ٨٥ ـ ٨٩) فوعدني ان يترجمها ترجمة صحيحة اذا كتبتها وارسلتها الى ادارة المشرق . ثم سألتهُ عن اخبار بعض القديسين والعلمآء الذين ذكرهم في ردّهِ على النشرة الاسبوعية ونسبهم الى حمص وهم القديسون ديودورس وابراهيم الناسك ومترونة والعالمان هيليودور وألبيان فوعدني ان ينشر فذلكة في تراجمهم ان كتبت اليهِ عنهم . ثم تقاضيتهُ الجواب عن ابن مامية (وكنت قد سألتهُ عنهُ خطأً) فاجابني بما نقلتهُ عنهُ في المقالة السابقة . وكذلك قدمت اليهِ بعض ملاحظات على ما كُتب عن ايقونسطاس كنيسة حمص في مقالة عنوانها «صناعة النجارة في المشرق» من قلم الاديب يوسف افندي غنام ثابت نُشرت في مجلة المشرق الزاهرة فطلب مني ان اكتب هذه الملاحظات وارسلها اليهِ في بيروت وللجنة تحرير المجلة الرأي في نشرها او عدمهِ[2] . ثم عرضت لي على اثر ذلك مشاغل اضطرتني الى ترك التحرير مدة وسبَّبت

(١) وليس ٢٥ تشرين الاول كما ورد ذلك سهواً في المشرق (٥ : ٩٥٦)

(٢) سأنشر هذه الملاحظات في عدد قادم ان شآء الله

تأخري عن الكتابة اليهِ مما ارجوهُ عليهِ عذراً وان أحبَّ الآن ان يتكرم باجابتي عن سؤاليَّ الاولَين فلهُ الفضل . ولعل ما ذكرتهُ في هذا المقام كافٍ لتذكيرهِ ان كان ما كتبهُ ناتجاً عن النسيان

(٣)

واما صاحب العزة احمد بك تيمور فقد نشر استدراكهُ في العدد الحادي عشر من الضيآء . ونظراً لما قرأتهُ في خلال سطورهِ من آثار لطفهِ وكرمهِ ومحبتهِ التدقيق اقدم عليهِ الملاحظات الآتية

(١) قال نقلاً عن ديوان ابن مامية انهُ ولد سنة ٩٣٠ هـ وهو قول فيهِ نظر فانني ذكرت في مقالتي الاولى (الضيآء ٩ ص ٢٧٠) ان اول تاريخ عثرت عليهِ للشاعر المذكور نظمهُ في تلك السنة (٩٣٠) فكيف يمكن ان ينظم تاريخاً في السنة التي ولد فيها ؟ وذلك التاريخ هو قولهُ مؤرخاً ولادة نجم الدين بن معروف [1]

مولد نجم الدين شمس الهدى أنار منهُ الكون لما بدا
والدهر قال عند ما قد اتى تأريخهُ نجمي أضا وهدى

(٢) وقال ايضاً انهُ قرأ الادب على العلاَّمة الشيخ ابن الفتح المالكي والصواب «ابي الفتح المالكي» كما اثبت ذلك الخفاجي واوضحتهُ في اول هذه المقالة

(١) هو الامير نجم الدين ابن القاضي معروف الشامي كان احد ادبآء دمشق في القرن العاشر للهجرة ولهُ نظم رقيق . (راجع ترجمتهُ في ريحانة الالبا للخفاجي ص ١٠٠)

(٣) أخذ عليَّ الاستدلال بالشعر على صفات قائلهِ واخلاقهِ وقال ان ذلك لا يؤدي الى المقصود في الغالب . فاجيبهُ انني لم اعمد الى استنتاج اخلاق ابن مامية من شعرهِ الذي يصف بهِ نفسهُ الا لما لم اجد موردًا استقي منهُ اخبارهُ غير آثارهِ الفكرية كما اشرت الى ذلك في محلهِ . ومع ذلك فالذي اراهُ هو ان اشعار الشاعر التي يقولها في وصف ذاتهِ ويخبر بها عن نفسهِ كثيراً ما يمكن الاستدلال بها على صفاتهِ واخلاقهِ وخصوصاً في مثل هذه الحال اي عند عدم وجود وسيلة اخرى لمعرفة مناقبهِ لانهُ اذا كان يصح الاستدلال على اخلاق الشخص بخطهِ او بازيآئهِ[1] وهي من آثارهِ الخارجية التي لا علاقة لها بالقلب أفلا تدلّ اشعارهُ التي هي لغة عواطفهِ وترجمان قلبهِ ووجداناتهِ على اخلاقهِ وصفاتهِ . وقد قيل في الحكم المأثورة « الكلام صفة المتكلم » والى مثل ذلك اشار الشاعر الشهير ابراهيم افندي الحوراني الحمصي بقولهِ

الشعر كالمرآة يُرسمُ فيهِ عقل الناظمِ

نعم انني لا انكر خروج بعض الشعرآء عن حكم هذه القاعدة ولكن من المعلوم ان إخلال البعض بالقانون لا يدعو الى نبذهِ

هذا ما رأيت اثباتهُ الآن مع اعترافي بفضل حضرة الاب المفضال وصاحب العزة احمد بك تيمور وشكري لهما خدمهما للعلم والادب راجياً منهما ان يعتقدا بي الاخلاص لهما والسلام

(١) راجع مجلة الهلال السنة السادسة صفحة ٤٨٩ و ٧٢٨